الصباح الإسلامية
09
العدد 3262 - السنة الحادية عشرة
الإثنين غرة جمادى الأولى 1440 - الموافق 7 يناير 2019
Monday 7 January 2019 - No.3262 - 11 th Year

القرآن الكريم بيّن لهم حقيقة النشأة والأصول التي يرجعون إليها

معرفة الصحابة لحقيقة الكون والإنسان والشيطان

الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى زوال ومتاعها مهما عَظُم فإنه قليل حقير

ان القرآن الكريم عرّف الانسان بنفسه بعد ان عرفه بربه وباليوم الآخر، ويجيب على تساؤلات الفطرة، من أين؟ والى أين؟ وهي تساؤلات تفرض نفسها على كل انسان سوي، وتلح في طلب الجواب.

وبين القرآن الكريم للصحابة الكرام حقيقة نشأة الانسانية وأصولهم التي يرجعون اليها، وما المطلوب منهم في هذه الحياة؟ وما مصيرهم بعد الموت؟

تصور الصحابة لقصة الشيطان مع آدم عليه السلام:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خلال المنهج القرآني، يحدثهم عن قصة الشيطان مع آدم ويشرح لهم حقيقة الصراع بين الانسان وعدوه اللدود، الذي حاول اغواء ابيهم آدم عليه السلام من خلال الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: 27].

كانت الآيات الكريمة التي تحدثت عن قصة آدم وصراعه مع الشيطان، قد علمت الرعيل الأول قضايا مهمة في مجال التصور والاعتقاد والأخلاق فمنها:

1 - ان آدم هو أصل البشر.
2 - جوهر الاسلام الطاعة المطلقة لله.
3 - قابلية الانسان للوقوع في الخطيئة.
4 - خطيئة آدم تعلم المسلم ضرورة التوكل على ربه.
5 - ضرورة التوبة والاستغفار.
6 - الاحتراز من الحسد والكبر.
7 - ابليس هو العدو الأول لآدم وزوجه وذريتهما.

من الوسائل التي استخدمها الصحابة الكرام لمحاربة الشيطان، التخاطب بأحسن الكلام إمتثالا لقول الله تعالى: «وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا» [الاسراء: 53].

هذه صورة موجزة عن حقيقة ابليس وتصور الصحابة رضي الله عنهم لهذا العدو اللعين.

نظرة الصحابة الى الكون والحياة وبعض المخلوقات:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلم الصحابة كتاب الله تعالى ويربيهم على التصور الصحيح، في قضايا العقائد، والنظر السليم للكون والحياة من خلال الآيات القرآنية الكريمة، فبين بدء الكون ومصيره. وقرر القرآن الكريم حقائق عن الحيوان، لا تقل في الأهمية والدقة عن الحقائق التي قررها في كل جوانب الكون والحياة.

وهكذا نظم القرآن الكريم أفكار وتصورات الرعيل الأول عن الكون وما فيه من مخلوقات وعجائب، وعن حقيقة هذه الحياة الفانية. واستمر النبي -صلى الله عليه وسلم- في غرس حقيقة المصير، وسبيل النجاة في نفوس أصحابه، موقنا أن من عرف منهم عاقبته وسبيل النجاة والفوز، سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك السبيل، حتى يظفر غدا بهذه النجاة وذلك الفوز. وركز -صلى الله عليه وسلم- في هذا البيان على جانب مهم هو: أن هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي الى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فانه قليل حقير.

ان كثيرا من العاملين في مجال الدعوة بهتت في نفوسهم حقيقة أن الدنيا لهو ولعب وغرور، لأنهم انغمسوا في هذه الحياة الدنيا ومتاعها، وشغفتهم حبا، فهم يلهثون وراءها، وكلما حصل على شيء من متاعها طلب المزيد، فهو لا يشبع ولا يقنع، بسبب التصاقه بالدنيا وانها لكارثة عظيمة على الدعوة والنهوض بالأمة، أما التمتع بهذه الحياة في حدود ما رسمه الشرع واتخاذها مطية للآخرة، فذلك فعل محمود.

الحسد أول المعاصي في السماء والأرض

يقول الله تعالى «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ × لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ × إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ × فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ × فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ»... (المائدة الآيات 27: 31).

تشير هذه الآيات إلى أول معصية وقعت في الأرض فبعد أن ذكر الله قصة موسى مع بني إسرائيل ورفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ذكر قصة ابني آدم.. وذلك لما بينهما من التماثل والتضاد فالتماثل قائم بين القصتين في أن في كلتيهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى فإن بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة، وأحد ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه لأنه لم يكن من المتقين وفي كلتيهما جرأة على الله بعد المعصية وبنو إسرائيل قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا وابن آدم قال: لأقتلن الذي تقبل الله منه.

وأما ما بينهما من الضاد فإن في إحدى القصتين إقداما مذموما من ابني آدم على قتل أخيه ومن الأخرى إحجاما مذموما من امتناع بني إسرائيل عن دخولهم الأرض وفي إحداهما اتفاق أخوين هما موسى وهارون على امتثال أمر الله تعالى وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد حيث كان أحدهما قاتلا والآخر مقتولا.

ومما نقل عن التوراة أن أحد الأخوين قابيل كان فلاحا وكان هابيل راعيا للغنم فقرب قابيل من ثمار حرثه قربانا وقرب هابيل من أبكار غنمه قربانا فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وقد حصل ذلك بوحي من الله لآدم وأعلمه أن من قبل قربانه كان صالحا وإن من لم يقبل قربانه كانت له خطايا.

والقصة توحي بأن الذي قبل قربانه لا جريرة توجب الحفيظة عليه وتبيت قتله إذ ليس له فيه يد، (وإنما تولته قوة غريبة تعلو عن إدراك كليهما وعلى مشيئته) فما كان هناك مبرر ليحقق الأخ على أخيه لأن خطر القتل هو أبعد ما يرد على النفس المستقيمة في مجال العبادة والتقرب إلى الله فقال الأخ لأخيه لأقتلنك - فليس هناك دافع ولا مبرر لهذا القول إلا الحسد الأعمى الذي لا يغمر نفسا طيبة، وكان جواب الخ الطيب أن قال: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» لأنه يؤمن بأسباب القبول وهي التقوى والإيمان ثم يمضي في توجيه أخيه المعتدي قائلا له «لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

وإن في هذا القول اللين ما يقضي على الحقد ويهدي الحسد ويسكن الشر ويمسح على الأعصاب الهتاجة ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة وبشاشة الإيمان وحساسية التقوى ثم يضيف إليه التحذير والنذير «إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» فصور له إشفاقه من جريمة القتل ليثنيه عنه وليخجله من هذا الذي تحدثه به نفسه فعرض عليه وزر جريمة القتل ليزين له الخلاص من الإثم المضاعف بالخوف من الله.

ولكن النموذج الشرير لا يزال مصرا على جريمته فحكى القرآن عنه «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» إن هذا التذكير والتحذير وتلك المسالمة وهذه الموعظة لم تعهد ولم تنفع في رد تلك النفس الشريرة عن جريمة القتل البشعة وقتل الأخ أخاه وابتكر أول معصية على الأرض ضد أخيه فأصبح من الخاسرين فقد خسر نفسه حيث أوردها موارد الهلاك فلم يهنأ بعد ذلك في حياته بشيء، وخسر آخرته فباء بإثمه الأول وإثمه الأخير.

ومثلت له سوءة الجريمة في صورتها الحية صورة الجثة التي فارقت الحياة وباتت لحما يسري فيه العفن فهي صورة لا تطيقها النفس وشاءت إرادة الله تعالى أن توقفه أمام عجزه وهو القاتل القاتل أن يواري سوءة أخيه فظهر عجزه أن يكون كالغراب «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ».

فحينما رأى غرابا يحفر في الأرض ليدفن جثة أخيه الغراب وكان لم ير من قبل ميتا يدفن فندم، ولم يكن ندمه ندم توبة، وإلا لقبل الله توبته وإنما كان ندما ناشئا من عدم جدوى فعلته وما أعقبه من تعب وعناء وقلق.

ولقد وعظ هابيل أخاه ليذكره خطر هذا الجرم الذي سيقدم عليه وأشعره بأنه يستطيع دفعه ولكن الذي منعه هو خوفه من الله تعالى استعظاما لجرم قتل النفس حتى ولو كان القتل دفاعا عن النفس لأنه علم حرمة النفوس ولو كانت ظالمة، ورأى في الاستسلام لطالب قتله إبقاء على حفظ النفوس للإكمال مراد الله تعالى من تعمير الأرض (وقد يكون ذلك في شريعتهم وأما في شريعتنا فإنها تبيح للمعتدى عليه أن يدافع عن نفسه ولو بقتله).

لقد صور مشهد دفن الجثة للقتيل أول مشهد في حضارة البشر وهي من قبيل طلب ستره المشاهد المكروه وهو أيضا مشهد أول علم اكتسبه البشر بالتقليد والتجربة، كما هو أيضا مشهد أول مظاهر تلقي البشر معارفه من عوالم أضعف منه حيث تعلم الإنسان من الطير ومن أجل وجود هذه النماذج البشرية ومن أجل الاعتداء على المسالمين الخيرين الطيبين الوديعين الذين لا يريدون شرا أو عدوانا.

ومن أجل أن الموعظة والتحذير لا يجديان في بعض الجبليات المطبوعة على الشر وأن المسالمة والمواددة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر والحسد عميقي الجذور في النفس من أجل كل ذلك جعل الله جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة بحيث تكون كجريمة قتل الناس جميعا، وجعل العمل على إحياء نفسا واحدة عملا عظيما بحيث يعدل إنقاذ وإحياء الناس جميعا.

إن حق الحياة واحد ثابت لكل نفس فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته، كذلك دفع القتل عن نفس وإحياؤها إنما هو إحياء للنفوس كلها، فما أعظم النفس البشرية التي صانها الله ذلك لأن الآدمي بناء الله ملعون من هدمه إلا ما اقتطع الحسد الذي يدفع أصحابه إلى قتل بعضهم بعضا وإلى قطع ما أمر الله به أن يوصل وإلى الإفساد في الأرض.

ومن هنا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يجتمع إيمان وحسد في قلب مسلم لأنه لأن أحدهما يوشك أن يخرج الآخر ويبقى هو إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فما اقبحه من ذنب ومعصية عصى الله بها في السماء حين حسد إبليس آدم وما ابشعه من ذنب في الأرض حيث جعل قابيل يقتل أخاه هابيل.

النبي حذر من لعاب الكلاب.. والعلم الحديث أثبت وجود جراثيم به لا يقتلها إلا التراب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «طهورُ اناء أحدكم اذا وَلَغَ فيه الكلب أن يغسله سبع مرّات اولاهن بالتراب».

وعن ابن المغفّل قال: أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقتل الكلاب ثم قال: «ما بالهم وبال الكلاب». ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم وقال: «إذا ولغ الكلب في الاناء فاغسلوه سبع مرات وعفروه الثامنة في التراب. صحيح مسلم.

ولغ الكلب في الاناء: اذا شرب منه بطرف لسانه. عفروه: أي دلكوه.

ثبت علميا أن الكلب ناقل لبعض الأمراض الخطرة، اذ تعيش في أمعائه دودة تدعى المكورة تخرج بيوضها مع برازه، وعندما يلحس دبره بلسانه تنتقل هذه البيوض اليه، ثم تنتقل منه الى الأواني والصحون وأيدي أصحابه، ومنها تدخل الى معدتهم فامعائهم، فتتحل قشرة البيوض وتخرج منها الأجنة التي تتسرب الى الدم والبلغم، وتنتقل بهما الى جميع انحاء الجسم، وبخاصة الى الكبد لأنه المصفاة الرئيسية في الجسم.. ثم تنمو في العضو الذي تدخل اليه وتشكل كيسا مملوءً بالأجنة الأبناء، وبسائل صاف كماء الينبوع. وقد يكبر الكيس حتى يصبح بحجم رأس الجنين. ويسمى المرض: داء الكيسة المائية، وتكون اعراضه على حسب العضو الذي تتبعض فيه، وأخطرها ما كان في الدماغ او في عضلة القلب، ولم يكن له علاج سوى العملية الجراحية.

وثمّة داء آخر خطر ينقله الكلب وهو داء الكَلَب الذي تسببه حمى راشحة يصاب بها الكلب أولا، ثم تنتقل منه الى الإنسان عن طريق لعاب الكلب بالعض أو بلحسه جرحا في جسم الانسان.

اذن فمنافع الكلب تخص بعض البشر، أما ضرره فيعم الجميع، لذلك أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتل الكلاب. ثم رخص في كلب الصيد والحرث والماشية نظرا للحاجة اليها. وفي زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن داء الكيسة المائية معروفا بالطبع. ولم يعرف أن مصدره الكلاب، أما داء الكلب فكانوا يسمون الكلب المصاب به: الكلب العقور.

وقام العلماء في العصر الحديث بتحليل تراب المقابر ليعرفوا ما فيه من الجراثيم، وكانوا يتوقعون أن يجدوا فيه كثيرا من الجراثيم الضارة، وذلك لأن كثيرا من البشر يموتون بالأمراض الانتانية الجرثومية، ولكنهم لم يجدوا في التراب أثرا لتلك الجراثيم الضارة المؤذية.. فاستنتجوا من ذلك أن للتراب خاصية قتل الجراثيم الضارة، ولولا ذلك لانتشر خطرها واستفحل أمرها، وقد سبقهم النبي -صلى الله عليه وسلم- الى تقرير هذه الحقيقة بهذه الأحاديث النبوية الشريفة [الحقائق الطبية في الاسلام، باختصار].